**الأدب الروسي**

 يحتوي على عدد من الروائع التي تعتبر من أعظم الأعمال الأدبية العالمية، خاصة في مجالي الرواية والشعر، ويعكس هذا الأدب تأثرًا كبيرًا بالتطورات التاريخية التي طرأت على [روسيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7) كاعتناق المسيحية والغزو التتاري. وظهرت أعظم الأعمال الشعرية والنثرية والمسرحية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي. كانت بدايات الأدب الروسي عام 988م، وكان معظمه في تلك الفترة دينيا على شكل مواعظ وأناشيد وسير للقديسين. وقد كتب رجال الدين الجزء الأكبر من هذا الأدب، وكانوا أيضا قرّاءه. أما الأدب اللاديني فأهم عمل فيه هو التواريخ، إذ كانت عاصمة كل إمارة تحتفظ بسجل تؤرخ فيه الأحداث، وأهم أعمال تلك الفترة المبكرة القصيدة الملحمية النثرية أنشودة [حملة إيغور](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AD%D9%85%D9%84%D8%A9_%D8%A5%D9%8A%D8%BA%D9%88%D8%B1&action=edit&redlink=1)، التي كتبها مؤلف مجهول في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي.

وكان الأدب الروسي أقل عطاء في ظل حكم [التتار](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%AA%D8%A7%D8%B1)، ولكن مع اكتساب [موسكو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%83%D9%88) السلطة بعد هزيمة التتار عام [1480م](https://ar.wikipedia.org/wiki/1480)، وتوحد روسيا في ظل حكم أمير موسكو، الذي أصبح يدعى قيصر فيما بعد، ظهر الأدب الذي ركزّ على الموضوعات السياسية، وأبدى اهتماما كبيرًا بالأسلوب.

1. **الأدب الروسي القديم:**

بدأت الأبجدية [الروسية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9) بالتطور بسرعة مع اعتماد الديانة [المسيحية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9) كدين رسمي للدولة.فعندما اعتنق الروس الديانة المسيحية القادمة إليهم من بيزنطة، بدأ رجال الدين الروس والمبشرين القادمين من الإمبراطورية البيزنطية بترجمة الكتاب المقدس من اللغة اليونانية إلى اللغات السلافية الروسية ورافق ذلك ترجمة أعمال الآباء القديسيين وبعض كتب الفلسفة والكتب الإغريقية وغيرها، ومن ثم بدأ الروس بترجمة كتب من لغات مختلفة وخاصة الشرقية بعد قيامهم بالحج إلى الأماكن المقدسة في المشرق واختلاطهم بثقافة المنطقة وخاصة الإغريقية منها وكان طابع الثقافة والأدب الروسيين يحمل طابعا دينيا وكثير من أدباء وكتّاب ذلك العهد هم من رجال الدين والمطّلعين على الثقافة الإغريقية.

**2-بدايات الأدب الحديث:**

-شهد القرن السابع عشر تحولا جذريا في الأدب الروسي، نتيجة ترجمة عدد كبير من الأعمال الأدبية الغربية وتقليدها. وظهر الشعر المقفى لأول مرة في روسيا، وكان أكبر كتَّاب هذا الأدب الجديد أفاكوم أحد رجال الدين المحافظين، الذي تميزت كتابته باللغة المعبرة والوصف الحي للحياة اليومية.

 -عمد القيصر بطرس الأول (الكبير) الذي بدأ حكمه عام 1682م إلي إدخال الطابع الغربي في الحياة الروسية، مما أدى إلى اكتساب الأدب الروسي صبغة غربية شاملة خلال القرن الثامن عشر. ويطلق على ميخائيل لومونوسوف لقب مؤسس الأدب الروسي الحديث ورائد المدرسة الكلاسيكية. فهو الذي أوجد الشعر الروسي الحديث الذي يعتمد على نسق منتظم من المقاطع المجزأة وغير المجزأة.

-ازدهرت المدرسة الكلاسيكية في روسيا في الأربعينيات من القرن الثامن عشر، تحت تأثير النماذج الغربية، وكان أصدق المعبرين عن مبادئها الكساندر سماروكوف الذي كتب قصصا ومسرحيات وأعمالاً هجائية وأغاني. وكان أبرز شعراء القرن السابع عشر غافربيل درجافين الذي يمثل شعره نقطة التحول من الكلاسيكية إلى الرومانسية.

**3-العصر الرومانسي:**

-بدأت بذور الحركة الرومانسية تظهر في الأدب الروسي في أواخر القرن الثامن عشر، وركزت على المشاعر والخيال، ولكنها استمرت في استخدام الأشكال الشعرية الكلاسيكية. كما عرف عدد من كتاب العقد الأول من القرن التاسع عشر باسم أدباء ما قبل الرومانسية، وامتازوا عن العاطفيين باهتمام أكبر بالطبيعة وبالأمزجة المختلفة.

-وفي العقد الثالث من القرن التاسع عشر ظهر جيل جديد من الشعراء يمثل البداية الحقيقية للرومانسية وبداية العصر الذهبي في الشعر الروسي. وقد جمع هؤلاء أيضًا بين المشاعر الرومانسية والأشكال الكلاسيكية لكن مواضيعهم كانت أكثر تنوعًا، وأبدوا اهتمامًا أشد بحرية الفرد، وتأثرًا كبيرًا بالشاعرين الإنجليزيين شكسبير وبايرون.

-يعد ألكسندر بوشكين أعظم شاعر غنائي روسي وأبرز كاتب في مرحلة الرومانسية المبكرة. وتميزت أشعاره بلغتها الموجزة وبلاغتها الفائقة في التعبير. والأسلوب الموجز لبوشكين يجعل شعره يستعصي على الترجمة. ويبحث بوشكين في قصائده السردية عن موقع الإنسان في المجتمع. وكثير من شخصياته الرئيسية ليست قادرة على إيجاد هدف للحياة وتنتهي ضجرة وبعيدة عن مشاعر الحب.

كتب عام 1825م مسرحية تاريخية بعنوان بوريس غودنوف في شعر مرسل. وكانت تلك محاولة منه لإدخال الأسلوب الشكسبيري في عرض الأحداث في المسرحية الروسية. والفارس البرونزي قصيدة قصصية كتبها بوشكين عام 1833م تعتبر إحدى أعظم قصائده السردية، ويلقي فيها الضوء على محاولة بطرس الأكبر لإدخال المدنية الغربية إلى روسيا وتأثير ذلك على الروس العاديين ويوضح النتائح العظيمة والمأساوية أيضًا التي تنتظرها روسيا من وراء هذه الرغبة .

كتب أيضًا رواية وعددًا من القصص وكانت روايته بنت القبطان 1836مشبيهة بالروايات التاريخية للسير وولتر سكوت الكاتب الرومانسي الأسكتلندي.

- شهد الأدب في هذه الفترة حرية أوسع في الشكل والأسلوب وإعجابًا بالمشاعر والانفعالات الإنسانية. وهذه الحركة التي بدأت في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي ركزت أيضًا على تعميق أهمية الأحلام والرؤى والخيال. وكان الفساد السياسي والأخلاقي ضمن المواضيع السائدة في بعض الكتابات الرومانسية المتأخرة في الأدب الروسي، غير أن الرقابة اشتدت في عهد القيصر نيقولا الأول الذي بدأ حكمه سنة 1825م واشتدت الرقابة بشكل خاص على جميع الأعمال الأدبية الناقدة للمجتمع الروسي ولا سيما ما يتعلق منها بعبودية الأرض. ومن أبرز كتَّاب هذه المرحلة: نيقولاي جوجول، وهو أحد أشهر الأدباء الروس. وقد قدم في أعماله الأدبية المبكرة أوصافًا تنبض بالحيوية عن الحياة في أوكرانيا، مسقط رأسه. واعتبر نقاد الأدب كثيرًا من أعمال جوجول المتأخرة هجاءً سياسيًا غير أن جوجول، كان يهدف أصلاً إلى السخرية من ضعف الإنسان الروحي. وتمثل الشخصيات الواردة في قصة المفتش العام 1836م العيوب الشائعة في الطبيعة البشرية وقصة الأرواح الميتة 1842م رغم عدم اكتمالها فإنها تعتبر من أروع سخريات جوجول، وهذه الحكاية وهي هجوم على تفشي الفساد الأخلاقي

**4-عصر الواقعية:**

- برزت الواقعية في الأدب الروسي في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، وسعى معظم أتباعها إلى إعطاء صورة صادقة عن الحياة والدعوة في نفس الوقت إلى الإصلاح الاجتماعي. وفي البداية جمع الأدباء خصائص رومانسية وواقعية في كتاباتهم.

-يعد إيفان تورجنيف من أبرز كتاب هذه المرحلة وهو مؤلف روايات مسرحية أظهر تفهمًا عميقًا للمجتمع الروسي وشعبه، حاول كتاب هذا العصر إقناع الروس المتحررين بأن العمل الفعلي وليست الأفكار العاطفية، هي التي تؤدِّي إلى الإصلاح الاجتماعي.

-جاءت ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، لتنتهي خلالها الرومانسية في الأدب الروسي وتبرز الكتابة الواقعية وقد كتب المؤلفون عن الأوضاع الاجتماعية وحلت كتابة النثر المبسط محل الأسلوب الأنيق للرومانسية وأصبحت الرواية الشكل الرئيسي للكتابة الأدبية. وقد تضمن العديد من الرِّوايات شخصيات مفعمة بالحيوية.

-أهم كتاب هذه المرحلة و الأدب العالمي على الإطلاق الكاتب ليو تولستوي، وهو أكبر كاتب روسي في الأدب القصصي أعظم رواياته في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر. ونبذ تولستوي القيم الرومانسية للبطولة وأظهر اهتمامًا عميقًا بالمراحل الطبيعية للنمو البشري، وروايته الحرب والسلام 1869م جلبت الانتباه إلى طبيعة الاجتياح الفرنسي لروسيا ونيرانه عام 1812م. ولكن الرواية ترفض كذلك فكرة الحرب وتكشف عن رغبة تولستوي في حياة هادئة تنسجم مع الطبيعة. وفي أنّا كارنينا 1875-1877م هاجم تولستوي الحب الرومانسي باعتباره ضربًا من الانغماس الذاتي وشجع بدلاً من ذلك الإحساس بالواجب الأخلاقي وحب الأسرة.

-من الكتاب الروائيين الروس الكبار أيضا دوستويفسكي الذي اشتهرت رواياته بالأوصاف الدراماتيكية للصراعات الداخلية، والتي تعاني شخصياتها من تنازع روحي عنيف بين إيمانهم بالله ومشاعرهم القوية المفعمة بالكبرياء والأنانية. ويصف لنا دوستويفسكي في الجريمة والعقاب 1866م حالة أحد القتلة وهو يقاسي عذاب الضمير، ثم يسترد البطل حالته الطبيعية، عندما يعترف بجريمته ويرضى بالعقاب الذي يستحقه، وفي رواية الإخوة كارامازوف 1879-1880م وهي آخر روايات دوستويفسكي يتحدث عن رجل شرير يقتله أحد أبنائه الأربعة. والصورة الرمزية التي يعرضها المؤلف عن نجاة الأولاد الآخرين من الخطيئة، هي إيمانه بالقدرة الإلهية على إنقاذ الناس من الخطيئة.

**5-الواقعية المتأخرة:**

- عندما جلس إسكندر الثالث على عرش القياصرة، عارض كثيرًا من الإصلاحات التي قام بها والده إسكندر الثاني، وظهرت موضوعات كثيرة تتسم باليأس والمرارة في الكتابات الروسية، نتيجة لقسوة الحكم القيصري في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر. وأصبحت القصص والمسرحيات تُمثِّل الأشكال الأدبية للواقعية المتأخرة.

- أنطون تشيخوف من كتاب القصة القصيرة والمسرحية في هذا العصر ومعظم أعماله تتعلق بالسأم والإحباط من الحياة.

- هناك أيضا روايات ومسرحيات وقصص مكسيم جوركي آخر الأدباء الروس الكبار من الواقعيين والذي تعكس أعماله الأدبية المبكرة فلسفته الشيوعية وهو يصف الفقر المدقع الذي تعاني منه الطبقات الدنيا. وأشهر مسرحيات جوركي الأعماق الدنيا1902م التي يفرغ فيها المؤلف الحياة البائسة التي يعيشها ساكنو أحد الملاجئ في قالب مسرحي. وكثير من الأفكار الرئيسية لأعمال جوركي المتأخرة كانت تتضمن انحلال الطبقة المتوسطة العليا.

**6- التجديد الأدبي:**

-يطلق اسم العصر الفضي في الأدب الروسي على العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأول ثلاثة عقود من القرن العشرين، وهي فترة شهدت قدرًا هائلا من التجديد والنشاط في الأدب. ففي هذه الفترة ظهرت المدرسة الرمزية، التي عادت إلى الأحلام والتخيلات الرومانسية.

-تولدت من الرمزية حركة ما بعد الرمزية، التي كانت بمثابة ثورة ضد الغموض والطابع الفلسفي في أعمال الرمزيين.

- أبرز شعراء القرن العشرين بوريس باسترناك، الذي كتب دواوين شعرية مثل توأم في السحاب 1914م، وحاز شهرة عالمية من روايته الملحمية دكتور زيفاجو 1957م.

**7-الأدب السوفياتي:**

-تمثل الثورة الشيوعية عام 1917م بداية عصر جديد في الأدب الروسي، فقد أحكمت الرقابة على الأدب، وهاجر كتاب كثيرون، وسُجِنَ وأعْدِمَ كثيرون غيرهم، وسيطرت الدولة والحزب على المطابع والصحافة.

-في العشرينيات من القرن العشرين خففت الدولة من قبضتها الصارمة، وظهرت مجموعة جديدة من الشعراء والروائيين لكن الدولة فرضت على الكتاب أن يخدموا أغراضها، فظهرت روايات المصانع مثلاً مع بدء الخطة الخمسية الأولى عام 1928م.

-في الثلاثينيات حظرت الحكومة نشاط جميع الجمعيات الأدبية، وأنشأت اتحاد الكتاب السوفييت الذي ابتدع نظرية الواقعية الاشتراكية، وطرد من الاتحاد كل من لم يلتزم بهذه النظرية. وازدهرت الرواية التاريخية في تلك الفترة، ومن أفضلها الرواية الملحمية وبهدوء يتدفق الدون 1928- 1940 لميخائيل شولوخوف. وأثناء الحرب العالمية الثانية، مُنح الكُتَّاب قدرًا أكبر من الحرية وظهرت روايات وطنية.

-خففت القيود مرة أخرى بعد وفاة ستالين، ولكن الرقابة الصارمة عادت مرة أخرى بسبب كتابات بعض الأدباء خاصة المعارضين، وبسبب الرقابة والقيود كانت بعض الأعمال الأدبية تُتَداول سرًا على شكل مخطوطات، ونشر بعضها خارج الاتحاد السوفييتي السابق مثل رواية دكتور زيفاجو.

-رغم القيود السياسية في السبعينينات استمر عدد من الأدباء في انتقاد المجتمع السوفييتي، وفضح مافيه من أنانية ونفاق.

-في منتصف الثمانينيات وحتى أوائل التسعينيات من القرن العشرين تضاءلت الرقابة إلى حدٍ كبير في ظل سياسة الانفتاح التي تبناها ميخائيل جورباتشوف، ونُشرت لأول مرة بعض الأعمال الأدبية المهمة التي كانت محظورة في السابق. وبتفكّك الاتحاد السوفييتي عام 1991م إلى دول مستقلة، انتهى عهد الأدب السوفييتي.

**المراجع:**

* 1. [Moscow International Book Fair](http://academia-rossica.org/index.php?id=3107). Academia-rossica.org. Retrieved on 2012-06-17.
	2. The Moscow Times [The most reading country in the world?](http://themoscownews.com/columnists/20080814/55342002.html) [Archived](https://web.archive.org/web/20130510184117/http%3A/themoscownews.com/columnists/20080814/55342002.html) 2013-05-10 at the [Wayback Machine](https://en.wikipedia.org/wiki/Wayback_Machine)
	3. Lang, D.M. “Boileau and Sumarokov: The Manifesto of Russian Classicism.” The Modern Language Review, Vol. 43, No. 4, 1948
	4. Lang, D.M. “Boileau and Sumarokov: The Manifesto of Russian Classicism.” The Modern Language Review, Vol. 43, No. 4, 1948.
* [An Outline of Russian Literature by Maurice Baring](http://www.gutenberg.org/etext/33005) at [Project Gutenberg](https://en.wikipedia.org/wiki/Project_Gutenberg)
* [Maxim Moshkov's E-library of Russian literature](http://www.lib.ru/) (in Russian)
* [Contemporary Russian Poets Database](http://russianpoetsdatabase.blogspot.com) (in English)
* [Contemporary Russian Poets in English translation](http://russianpoets.blogspot.com)
* [A bilingual anthology of Russian verse](http://max.mmlc.northwestern.edu/~mdenner/Demo/index.html)
* [La Nuova Europa: international cultural journal about Russia and East of Europe](http://www.russiacristiana.org/RussiaCristianaNE.htm)
* [Information and Critique on Russian Literature](http://www.professorandy.com/RussianLiterature.shtml)
* [History of Russian literature](http://russia-ic.com/culture_art/literature/169/) Brief summary
* [Russian Literary Resources](https://web.archive.org/web/20081118102409/http%3A/www.library.uiuc.edu/spx/webct/SubjectResources/SubSourRus/ruslitbib2.htm) by the Slavic Reference Service